إضاءة

إلى جانب جمع آثاره الشعرية وتصويب معلومات عن حياته، تحتوي الطبعة الجديدة من الأعمال الكاملة للشاعر العراقي الرائد قصيدتين جديدتين لصاحب «أنشودة المطر» لم يطّلع عليهما أحد. إصدارٌ يشكّل مناسبة لإعادة قراءة أحد أبرز وجوه الحداثة الشعرية العربية

محمود منير

بدر شاكر السيّاب الأعمال الشعرية أصبحت كاملة

بعد انتظارٍ كليلِ السّهاد

تُستدعى تجربة بدر شاكر السيّاب كلما دُرست تحوّلات القصيدة العربية في منتصف القرن الماضي، ورغم الاختلاف حول دوره في التجديد بين فريق يرى أن ثيمات شعره أو مناخاته تعكس حالة من التمرّد حرّكت الأسن في المشهد الثقافي العربي، وآخر يعتبر أن تجربة الشاعر العراقي (1927 - 1964) ظلّ رهين الرؤية الشعرية التقليدية.

في مقاربة جديدة لصاحب «حفّار القبور»، صدرت حديثاً عن «دار الرافدين» و«تكوين» أعماله الشعرية الكاملة بتحقيق الشاعر العراقي علي محمود خضير، وتقديم أدونيس، والتي اعتمدت المخطوطات الأصلية لقصائد الشاعر مع هوامش تحريرية موسّعة تضمّ التعديلات التي أجراها السيّاب على متنه الشعري في فترات مختلفة.

يشير أدونيس في تقديمه إلى «صداقة شعرية متينة» جمعته مع السيّاب قبل لقائه به في بيروت؛ لقاءٌ أتى «في مرحلةٍ تاريخيّة، شديدة الالتباس، سياسيّاً وثقافيّاً. كلُّ كلام على الشعر، في مَعْزِل عن هذه الالتباسات، لن يكون إلاّ التباساً آخر»، على حد وصفه؛ حيث كان هناك «إعادة نظرٍ جَذريّة» في أوزان الشعر، ما يعني إعادة نظر في ما رسّخ من «المفهومات والقيَم الفنية - الشعرية، وعياً وتذوقاً، فهماً وتقويماً».

عن التباس السياسة، يقف صاحب «الثابت والمتحوّل» كعادته عند افتراق «الممارسات الحيّة والأقوال والكتابات» عن الدعاوى الأيديولوجية التي رافقتها آنذاك، وأنها كانت تحمل بذور الفشل «في إمكان الوصول إلى بناء مجتمعات عربيّة ديمقراطيّة مَدنيّة»، قراءة تقوده إلى القول: «القصيدة العظيمة نسيجُ كَوْنيّ. وما نحتاج إليه، نحن العرب، هو شعرٌ الأفق الكبير الواسع، بلا حدود، المُنْفَتِح بلا حدود. وهذا هو الأفق الذي سارت فيه رؤيةُ السيّاب في قصائد مثل «أنشودة المطر» و«النهر والموت» و«المسيح بعد الصَّلب».

في حديثه إلى «العربي الجديد»، يقول خضير إن «البحث والتحقيق تضمّن جمع كل ما نشره السيّاب من دواوين وكتب مختارات وقصائد في مختلف الطبعات والعهود، فضلاً عن أرشيف الصحف والمجلات التي نشر فيها، وما هو متوفر من مخطوطات أصليّة حصلتُ عليها من نجله غيلان السيّاب الذي بذل جهوداً خاصة في المشروع. ومن ثم مقابلة الوثائق ببعضها وتدقيقها لاستخراج الملاحظات التحريريّة التي تنوّعت بين سقطات سهو، وأخطاء طباعيّة، وتعديلات أجراها الشاعر على متنه في عهود مختلفة جرى إغفال توثيقها». يضيف: «العمل شمل أيضاً توثيق مقاطع محذوفة ونشر قصائد جديدة لم يجر إلحاقها بالديوان الكامل، في النهاية اكتشاف قصيدتين جديدتين للسيّاب لم يطلع عليهما أحد وتصويب حقائق تاريخية في حياة الشاعر منها سنة ميلاده الحقيقية التي ظلت خطأً متوارثاً طيلة العقود السابقة، حيث وُلد عام 1927، مجهول اليوم والشهر، وليس الخامس والعشرين من كانون الأول/ ديسمبر 1926، كما بقي مثبتاً».

تمثال السيّاب في مدينة البصرة العراقية

كما بيّن أن «طبعة «دار العودة» هي جزء من المشروع، وقد جرى ضمّ محتواها كلّه إليه، لكننا أضفنا إليها متوناً أخرى ظلّت تنقصها، كما أعدنا تبويب الأعمال الشعرية بطريقة جديدة نظن أنها أدق، كذلك تمّت معالجة المشاكل المتوارثة فيها (أخطاء طباعيّة واختلال في تحقيق بعض القصائد) على سبيل المثال. لم يجر استبعاد شعر معروف من تراث السيّاب لأننا بصدد «أعمال كاملة» وليس «مختارات شعرية»، الاستبعاد من أدبيات كتب المختارات».

ويرى خضير أنه «لم يجر توثيق شعر السيّاب بجديّة وحياد على الرغم من أهميته واعتراف الأوساط النقدية به كأهم محدّثي شعرنا المعاصر. تخيّل حتى تاريخ ميلاد الشاعر الشائع والمتداول ليس صحيحاً، كما أتتني الرسالةُ أتتني كما رفٌّ من سندباذ شراعٌ على الموج ألقى ظلالهْ أكادُ أحسُّ وراء المدادْ بصوتٍ يلقي سؤالهْ: أما زلتَ إن مسَّ نور الأصيل رؤوس الروابي ورفّت تزقزقُ عبر السحاب عصافير تنحط بين النخيل إلى كركرات بعاد تكسّرن في ماء نهر يسيل»

محاولة جادة وطموحة لدراسة السيّاب الذي لا يزال حاضراً بغض النظر عن المسافة «الحقيقية» التي تفصلنا عنه، حيث تلسعنا إلى اليوم شعريته التي يمتزج فيها التفجّع على شأنه الشخصي من فقر ومرض وغربة بذلك الغضب من العالم كلّه، فيؤلّفان روحاً واحدة لم تحتمل العيش سوى ثمانية وثلاثين عاماً، كتب خلالها مئات القصائد التي يقود متنها دائماً إلى تلك الكارثة أو الموت التراجيدي الذي يسير بشكل درامي طوال أيام حياته.

اهم ما في المغامرة

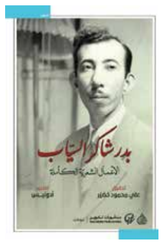

ننظر الى الشعر العربي بعد خمسة عقود ونصف من رحيل السيّاب، وننتبه الى الآفاق التي وصلها. من البديهي اننا لم نكن لنصلها بدون تجربة هذا الجيل والمغامرة التي خاضها في تجديد الشعر العربي. محاولات اكثرها تعثرات، هذا صحيح؛ لكن ما كان بالامكان بدونها ان نصل حيث وصلنا. لم يكن تجديد الشكل (المسالة العروضية) اهم ما في هذه المغامرة؛ الاهم كان تركيب لغة شعرية جديدة وتذويت مساحة كبيرة من الحراك الشعري في العالم.

نشر بعض أعماله جرى وفق أهواء تجاريّة مرّةً وشخصيّة مرّات

شعر الأفق الكبير الواسع هو الأفق الذي سارت فيه رؤية السيّاب

إطلالة

الطبيعة كملاذ أحياناً

فن ما بعد الانفجار

في المعرض الجماعي الذي أُقيم مؤخّراً في «ميسيون آرت» ببيروت، بمشاركة فنانين شباب في الغالب، نعثر على فن يصعب تحديد سلالته ومصادره

عباس بيضون

ماذا في الفن في بيروت؟ بعد تراكب انتكاسات عدّة ليس كورونا وحده فيها، بل الانهيارات الاقتصادية والسياسية، وأخيراً لا آخراً انفجار المرفأ الذي شمل بيروت كلها، وخاصة المنطقة الشرقية منها التي تغلب عليها بيئة مسيحية تعني انفتاحاً مباشراً على الغرب، وابتعاداً عن الموجة القومية التي تحلّ مسألة فلسطين في صميمها.

هل يمكن الكلام عن فن ما بعد الانفجار في المنطقة الشرقية، ومنها في لبنان. المعرض الجماعي الذي أقيم مؤخّراً في «ميسيون آرت» في الجميزة من بيروت الشرقية، يقول هذا على نحو مخفّف. في المعرض الذي استضاف فنانين شباناً في الغالب، صادفنا بعضهم في الصالة، نعثر على فنّ يصعب تحديد سلالته ومصادره. الأمر نفسه قد ينطبق بالدرجة نفسها على الفنون الشابة كلها في المرحلة الراهنة. لا نستطيع بسهولة أن نَرد فن الشبان إلى مدرسة بعينها، أو موجة قائمة بذاتها، أو نمط فنّي. الأمر نفسه نصادفه أيضاً في الشعر والأدب بوجه عام.

قد يكون السبب أنه ليس هناك موجة عالمية سائدة، أو مدرسة مسيطرة في الفنون المعاصرة. هنا، كما هناك، الفنانون يصنعون أساليبهم الشخصية من أصداء وموجات مختلفة وأسماء شتى. في صالة «ميسيون آرت» نلتفت إلى اللوحات المعروضة فنجد أن معظمها ينتسب، على نحو ما، إلى التعبيرية. في لوحات كريستوف بارون التي تضم ثلاثة أعمال على الخشب نجد أن الصفحة الخشبية التي تلقت رسوماً خطية، تلعب دوراً في الأسلبة وفي التصوير، إنها مشاهد على رصيف تحت جدار، والرصيف والجدار والأشخاص المرسومون يتّحدون من الخشب طابعاً محلياً تظهر فيه المدينة والأشخاص في بيئة خاصة، وحركة تقرب من النمنمة. الخشب يُظهر مكانية العمل، فيما لوحات أخرى، واحدة منها لدينا عساكر، من أسود وأبيض، يساعد هذان اللونان على إظهار ترتيب حسابي للجمع، وعلى نمنمة تقرب من الإيقاع. سنجد في المعرض إلى جانب ذلك نساء تغلب عليهن القسوة والسن. لكن اللوحات القليلة التجريدية تبدو غريبة عن جو ما بعد الانفجار. تشهد كلمات عرضها الفنانون إلى جانب لوحاتهم، عن تأثرهم بقسوة الواقع والانفجار، ولجوئهم إلى الطبيعة أحياناً كملاذ. لكن الطبيعة في اللوحات تبدو، فعلاً، إضافة إلى الواقع من الخارج.

في استديو لوما رياح معرض لفنانين ثلاثة، اسْمُهم سمعان خوام بلغ الخامسة والأربعين، وهو إلى جانب فادي الشمعة ولوما رياح يشغل الصالة. سمعان خوام مصوّر إلى جانب كونه شاعراً، وليس شاعراً على هامش التصوير، إنه شاعر تردّنا أشعاره غالباً إلى لوحاته، التي تبدو أقرب إلى أن تكون قصائد قصيرة. الفنانون الثلاثة يعرضون ما اشتغلوه، خلال شهر في الصالة. سمعان خوام الجالس إلى الطاولة في الصالة لا يزال يواصل الرسم، ولوحاته، هذه المرة، تشتغل على موضوع واحد تقريباً، يضم رأساً وعصفوراً على الرأس. رأس وعصفور مؤسلبان، يبدوان في أوضاع مختلفة، لكن الرأس فيها يبقى نفسه. يبقى مجرد وجه، والعصفور الذي هو، في الغالب، متكئل على نفسه، ورأسه غائر فيه، كأنه ابتلعه. يقع العصفور على الرأس من فوق غالباً، أو قد يقع عليه من جهة الوجه، وقد يظهر في قليل من الأحيان تحته. العصفور مؤسلب، إنه الجسد والجناح والرأس، هذه جميعها رسم يبدو فيه العصفور مزيجاً من مطرقة، ومن سكين، ومن شكل نصبيّ. هذا الشكل يوائم الرأس الذي غالباً ما يكون منفتحاً لتلقّي الطائر، الذي يسقط عليه ويكاد يغوص فيه، يبدو أن هذا الهبوط لا يوحي بالسقوط العنيف، ولا ينذ عن قسوة. ثمة بين العصفور والرأس قدر من التماسك، الذي يقرّب من السكون. ثمة ما بين الاثنين ما يشبه العيش الصبياني. اللوحات المتقاربة تُشعر أنها تكاد تكون مقاطع في عمل واحد، أو لنقل قصيدة واحدة.

> اللوحات المتقاربة تُشعر أنها مقاطع في عمل واحد

فادي الشمعة صديق سمعان خوام، لدرجة أنهما يعملان أحياناً على لوحة واحدة. هو رغم ذلك مختلف عن سمعان لدرجة التعاكس. فادي الذي هو في حالة تجريب مستمر، وفي نوع من الهجوم الدائم على الفن، استقرّ في هذا المعرض على لوحة تجريدية. هي رغم ذلك، قابلة أكثر لتكون محفورة أو منحوتة. إنها دوائر منصوبة بقسوة على خطوط متشابكة. فادي يقف الآن هنا لكنه لن يبقى، إنه مزيج من كل الأساليب والطرائق، وهو في كل يوم بأسلوب واقتراح. لكن تجريد فادي كتعبير سمعان كتجريد لوما ينطوي على قدر من القسوة. إننا أيضاً في فن ما بعد الانفجار.

لوما رياح صاحبة الصالة تملأها بلوحاتها، التي تبدو في الغالب مائلة إلى التجريد، لكنه أيضاً تجريد مفتوح وبطرائق مختلفة. لا نعرف أين سترسو الشابة. بعض تجريداتها يُخفي نزوعاً إلى التشخيص، وفي بعض تجريداتها غنائية إلى حد صارخ، فيما البعض الآخر بتقييعات غنائية. لسنا متأكدين أن ذلك سيكون مستقبلها، لكننا أمام فنانة تجرّب، وإن في المكان نفسه، وتبحث هكذا عن نفسها وعن أسلوبها.

(شاعر وروائي من لبنان)

«العصفور الأزرق»، سمعان خوام، زيت على ورق، 45 × 46 سم (من المعرض)

نصوص

نمر كحولي ينام أسفل جسر الزمن

في الشعر فقط

فخاري رطروط (جزء من لوحة)

فخري رطروط

اليقطين يتحوّل إلى مناطيد.
تصير الجمجمة قدماً يمنى.
تصير الضفدعة في داخلك.
يصير البحر قطة زرقاء.
يصير الضفدع ساقياً في حانة.
تتحول القطط إلى دراجات هوائية.
تتحول إفرازات جسمك إلى جبنة البارميزان.
تستيقظ وتجد نفسك ماكينة خياطة أو عدسة مقعرة أو قارب صيد.

■■■

في الشعر فقط أحياناً يركض باب فولاذي بلا هدف.
في الشعر فقط تعمل البنادق بدون تشحيم.

■■■

يمكن إضافة إعلانات تسبح حول الشمس.
يمكن علاج حياة التقشف كيميائياً.
يمكن تزويج جبل مع نجمة عزباء.
يمكن سماع صوت الدماغ وهو يفكر.
يمكن رتق شقوق الجدران بالحناء.
يمكن لك أن تتجول بين جبلي الردفين.
يمكن مسح دم الذكريات بالكيروسين.
يمكن عدّ نجوم روما دون أن تخطئ.
يمكنك نشر ملابسك على حبالك الصوتية.
يمكن رؤية الأرجوحة بوضوح في دماغك.
يمكن إعادة بناء بيوت بابل على أقمشة قديمة.

يمكن حصر الشيخوخة في زاوية 30 درجة.
يمكن التبوّل على جدران ما وراء الطبيعة.
يمكن صناعة خيوط ثمينة من أغاني الهكسوس.
يمكن تدريب شجرة الأرواح على التهام غربانها.
يمكن عبور جسر النسيان مع أنه مصنوع من ورق. يمكن مشاهدة قبور نحاسية مجنحة تطير عند الغروب.
يمكن رؤية سباحين بلا أدمغة في ثلاجات المسمكة.
يمكن العثور على وظائف شاغرة في عمورة وسدوم.
يمكن العثور على جثة الخليل الفراهيدي على شاطئ بحر البسيط.
يمكن التهام أجنحة ملائكة مقلية مع قليل من صلصة الخردل.
يمكن توليد الكهرباء من كتف الكناري وهو يلتهم كتف القفص.
يمكنك سماع ورقة شجر تُثَقِّفك: أنا لا أفهم نظرية العلوم الاجتماعية.
يمكن العثور على عصا كمان ضائعة في فتحة الأنف، وبجانبها ملك مخلوع يختبئ هناك.
يمكن العثور على قارة بكْر جديدة مصنوعة من مستحاثات اللون الأزرق ومختبئة داخل دبابة مدمرة.

■■■

في الشعر فقط يتمدد البشر مثل الجسور فوق الهاويات.
في الشعر فقط يتناثر البشر من شقوق البيوت مثل قطن الكنبة القديمة.

■■■

تكون مراجل القطارات باردة.
يكون الأيس كريم متساوي الأضلاع.
تكون النجوم حيادية ذات ملامح مبهمة.
تكون الحلمة جزيرة والنهد قاطع طريق.
تكون جزر هاواي عبارة عن أورام حميدة.
تكون الدجاجة الوثنية أقرب الحيوانات للإنسان. يكون احتجاج القمر ضد أصحاب مزارع الكاكاو مذهلاً.

■■■

في الشعر فقط تستطيع حلب شجرة.

■■■

يغلي الماء بطريقة رومانسية.
يزور آدم حماته للمرة الأولى.
تغزو الطحالب تمثال عزرائيل.
يسيطر الكالسيوم على البحر.
تتقيأ الكتب روث الإيديولوجيات.
يعاني الإسكندر المقدوني من الطمث.
تلعب قدمي اليانصيب مع الطرقات.

(شاعر فلسطيني أردني مقيم في نيكاراغوا)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فعاليات

يضم المعرض الجماعي **تواصل**، المستمرّ حتى الاربعاء المقبل في «غاليري المشربية» في الجيزة قرب القاهرة، اعمالاً للعديد من الفنانين المصريين، في مسعى لإتاحة الاحتكاك بين اجيالٍ مختلفةٍ منهم. من المشاركين في المعرض: **وائل حمدان** (اللوحة)، و**وئام علي**، و**محمد دمراوي**، و**ادهم بدراوي**، و**مصطفى طه**.

الآراء العربية في مرآة استطلاع عنوان اللقاء الذي ينظّمه افتراضياً «معهد بحث ودراسات المتوسط والشرق الاوسط» في باريس، ظهر يوم الجمعة المقبل، مع مدير «المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات في باريس»، **سلام كواكبي** (الصورة)، حيث يحاوره المؤرخ **دومينيك فيدال** حول نتائج النسخة الاخيرة من استطلاع «المؤشر العربي» الذي ينفّذه «المركز العربي» سنوياً.

كان يفترض ان يستمرّ حتى الاربعاء المقبل (قبل فرض الإغلاق التام حتى 25 الشهر الحالي) في فضاء «زيكو هاوس» ببيروت معرض **اميغدالا** للفنان اللبناني **مارون اسمر** (1977). يضم المعرض اعمالاً تركيبية تُزاوج بين عناصر اللوحة (من لون واطار وقماش) والتجهيز.

في إطار برنامجه **مواعيد الادب الفرانكفوني: لقاءاتٌ افتراضية**، ينظّم «المعهد الفرنسي للمغرب» لقاءً، عند السادسة من مساء الخميس المقبل، مع الكاتب الروسي الفرنسي، **اندريه ماكين** (1957)، للتحدّث عن مساره ومجمل اعماله. منذ انتخابه فيها عام 2016، يعدّ ماكين اصغر اعضاء «الاكاديمية الفرنسية».